وعلى بركة الله ساروا.. وفى الكهف اعتزلوا قومهم وما يعبدون وعاش الفتية في أنس الإيمان، أيقاظًا ورقودًا.

١٤- في كهف الإيمان

قال فتية الكهف بعضهم لبعض:

﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾

إلى هذا الكهف الحنون ذهبوا..

مهما يكن الكهف.. فهو صخر أصم، ولقد اختاروا كهف يتلاءم مع عددهم، لا يضيق بهم، ولا يتوهون فيه لاتساعه.. فسعة الكهوف لا تؤمن معها المفاجآت: الشقوق وتسرب المياه والهوام والزواحف.

وبين "الكهف" و "ينشر" مقابلة أخرى

الكهف تحمل معنى التحديد. تحديد المساحة.

ينشر تحمل معنى الاتساع والامتداد.

و "لكم": تحمل معنى أنهم هم المعنيون بهذه الرحمة و الطالبون لها، والداعون لأن يتفضل بها ربهم عليهم.

و "ربكم": الرب فيها التربية والرعاية. والضمير المتصل فيها يفيد القرب.

و "من": تفيد العطا، وتوالي العطاء.

رحمة الله لا تنفد. فكل خير هو بعض رحمة الله ووراء الفيض فيض آخر.

ومما يدل على أملهم في مزيد الرحمة، وتحديد حاجاتهم ما جاء في الآية الكريمة: " ويهيىء لكم من أمركم مرفقا "

هذا الأمل الكبير في رحمة الله.. أمل في أن يهيىء لهم من أمرهم مرفقا..

والتهيئة إعداد. والإعداد ملاءمة للمكان والزمان والموقف. وفى حياتنا نقول. هيأت للضيف القرى أو المكان أعددت له الأمر الملائم له. وهم يدركون الأخطار التى حولهم، وأن الملك وحاشيته لو عثروا عليهم لكان مصيرهم الرجم أو الفتنة. من أجل ذلك سألوا ربهم الحماية والستر والرزق.. ما يرتفقون به من طعام في هذا

الكهف.. سيكون عليهم السعى، كما كان منهم اللجوء إلى الكهف مع الرقيم والورق والكلب الحارس..و يسألون الله من واسع رحمته ورزقه وستره..

ونقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ ونبدأ بمعانى المفردات:

- تزاور عن كهفهم: تميل عن كهفهم.
- تقرضهم: تقطعهم وتبعد عنهم جهة الشمال.
- فى فجوة منه: في متسع منه.
- ذلك من آيات الله: من صنع الله وقدرته وتدبيره.
- من يهد الله فهو المهتد: أى من يوفقه الله إلى الإيمان فهو المهتدى حقًا.
- ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا: أى من يضلله بسوء عمله. وإذا كان الله خالق كل شىء. فإنه جعل للإنسان إرادة واختيارًا ومسئولية عليها الحساب والجزاء.

وأود أن أقف وقفة متأنية عند هذه الآية الكريمة من الناحية الكونية، بعد أن وقفنا معها من الناحية اللغوية والفقهية فلقد يسر الله زيارة كهف الرجيب في الأردن مرتين قبل كتابة هذه الأحاديث.

قرأت عنه قبل الزيارة، وراجعت ما كتب الزملاء الأردنيون الذين قاموا بالحفر العلمى أو تولوا مناصب مسئولة في دائرة الآثار وأعاننى الإخوة في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والمقدسات الإسلامية على تنظيم الزيارة والقيام ببعض القياسات والأرصاد العلمية الوثيقة الصلة بتفسير هذه الآية، التى تذكر بتفصيل حركة الشمس طلوعا وغروبا، وعلاقة أشعتها بالكهف و من فيه وهم في فجوة منه.

المفسرون والعلماء الذين رجحوا كهف أفسوس قالوا إن فتحته إلى الشمال (الجغرافى). وما دمنا في نصف الكره الشمالى على خط عرض ٣٧ شمالاً تقريبًا، فإن فتحة الكهف إذا كانت إلى الشمال مباشرة فلن تنالها أشعة الشمس

بأى حال من الأحوال، ذلك لأن أقصى تعامدها الشمالي في ٢١ يونيو من كل عام هو على مدار السرطان ٢٣,٥ شمالاً.

أما إذا كانت الفتحة نحو الشمال الشرقى بميل يزيد عن الفرق بين خط عرضها ومدار السرطان أى ما يزيد على ١٤ درجة فقد تنالها شمس الصباح بعض أيام السنة.. واذا كان انحرافها نحو الشمال الغربى فتنالها شمس الأصيل بنفس النسبة.

ولقد وقفت طويلا عند قول الله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ فللشمس علاقة بالفتحة صباحًا وأصيلا.. وهذا لايتأتى إذا كان أساس الفتحة نحو الشمال الجغرافى، مما يجعلنا نستبعد كهف أفسوس.

لماذا ذكر ربنا جل وعلا هذه التفاصيل عن الفتحة؟ إن الكهف ـ والله أعلم ـ كهف مختار من كثير، وهذه المناطق الجبلية في الأردن وتركيا كثيرة الكهوف. والفتية اختاروا كهفًا منها، وأكثروا من الذهاب إليه وعرفوه واطمأنوا إليه. هو مكان إيواء وهو غير بعيد من المدينة، بحيث استطاعوا هم ان يذهبوا إليه راجلين. واستطاع أحدهم بعد الاستيقاظ أن يذهب راجلاً إلى المدينة ليحضر الطعام.

ولو استأجر الشاب دابة لعرف صاحبها أمر العملة التي معه، ولكان الحوار قبل دخول المدينة.

وبهذا كان في الذهن استبعاد الكهوف ذات الفتحات الشمالية ودراسة الكهف ذى الفتحة الجنوبية، وهو كهف الرجيب ويقع على خط عرض ٣٢ شمالاً تقريبًا. وعند زيارة الكهف ورصد الفتحة لم تكن نحو الجنوب الجغرافى مباشرة وإنما كانت نحو الجنوب الغربى.

كان وقت الزيارة في الأصيل وشعاع من الشمس الهادئة يدخل باب الكهف. وأود أن نتامل في الآية الكريمة أمرا دقيقا: هو قول الله تعالى:

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ ﴾ الشمس في الصباح تزاور عن الكهف، وضع خطا تحت الكهف هنا ﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ وضَعْ خطًا تحت تقرضهم. لم يقل تقرض الكهف، أو تقرضه،

وإنما تقرضهم فهي في الصباح تزاور عن الكهف، وفي الأصيل تقرض الفتية والفرق كبير.

وقول الله تعالى وترى الشمس إذا طلعت.. ما موقف الناظر هنا أو الرائى؟ الأساس هو الكهف ومن فيه. اليمين يمينهم. والشمال (المقابل لليمين) شمالهم وإذا كنت في الكهف وطلعت الشمس وكانت الفتحة نحو الجنوب الغربى، تزاورت الشمس عن الكهف ذات اليمين. تمر أشعة الصباح بقوتها أمامك، تكشف المرائى والآفاق. والكهف مرتفع عن الطريق العام على ربوة وحين تتوسط السماء لا تدخل الكهف ثم عندما تميل إلى الغروب تدخل بعض أشعتها في فجوة الكهف. وشمس الأصيل هادئة غير قوية كشمس الصباح. هذا الشرح العملى لا يستقيم معه القول بفتحة متجهة إلى الشمال الجغرافى أو كما جاء في بعض كتب المفسرين كان باب الغار مواجهًا لبنات نعش وهي من نجوم الشمال، وباب الكهف غير متسع.

ثم هناك الفتحة أو الكوه المحصلة بين قلب الكهف مخترقة الصخر فوقه إلى السماء،من فوقها صخرة.. ومن الممكن قفل الكوة أو إطلاق الهواء فيها حسب حاجة من بالكهف. هذه الفتحات العمودية معروفة في كثير من الأقطار المعتدلة والمدارية التى نحن في أرضها في بعض ديارنا يسمونها مساقط أو ملاقف الهواء في مصر أو الباجدير في الخليج. وهى من وسائل التهوية التقليدية المعروفة.. والذين استخدموا هذا إما أنهم أفادوا من الفتحة إن كانت على عهدهم،وهذا هو الأقرب، أو أفاد منها من جاءوا من بعدهم، وأفادوا من الكهف إقامة أو عبادة أو استراحة على طريق الرحلة.

وبهذا يبدو جانب هندسي في الكهف تعاملاً مع ظروف البيئة الطبيعية، أرضا وسماء،كما رأينا من قبل تعاملاً مع الظروف البشرية من حيث العلاقة بالمدينة، وما فيها ومن فيها.

١٥ـ وتحسبهم أيقاظا وهم رقود

﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ ﴾ في هذة الآية و للمرة الثانية، نجد الخطاب إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام. كان في الآية السابقة: وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال و هم في فجوة منه.

المنظر متسع.. الشمس في طلوعها وغروبها. ممتدًا زمانًا، يومًا ومكانًا في الأفق العريض وفى المنظر الواسع تركيز على مكان معين جاء ذكره مرة واحدة في الآيه: كهفهم.. وفى فجوة الكهف الفتية الذين آمنوا.

مشهد يوحى بالاتزان الكونى والنفسى. ترى فيه الكل والجزء.

الشمس والكهف. الكهف والفجوة. الفجوة والفتية.. ولكن هنا وقفة من يستطيع أن يطلع على الفتية؟ وماذا لو أطلعت؟

ندع الدخول إلى الكهف إلى حين. ونقف في الخارج قليلاً في حوار مع قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾.

دعوة الحق جاءت كمطر الخير على المدينة،موهوبة الخير للجميع تمامًا كالريح الطيبة للسفن. والماء للظمآن. والنور للسالك.

فتتقبلها قلوب واعية كريمة.. هى قلوب الفتية. ونفرت منها قلوب مغلقة هى قلوب الملك وحاشية وسواد أهل المدينة.. من طلب الهدى أعانه الله على هداه ومن ترك سبيل الخير بعد أن دعاه الله، حاسبه الله على ضلاله وكفرانه..

وهل نجد بعد هداية الله هدى؟ ولا بعد إرشاد الله إرشادًا؟ كل طريق غير طريق ضلال، وكل ولاية غير ولايته خذلان.

وقد اعتصم الفتية بالله.. فكان الكهف ومن فيه قريبين من رحمة الله وكانت المدينة ورغم ما فيها بعيدة عن رحمة الله.

ولو تأملنا أيها المؤمن في حركة الشمس شروقًا غروبًا،وفى انتظام الليل والنهار.. لعلمت أن هذا كله بإرادة الحي القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم.

ويا أهل المدينة لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ولا أنواركم وأضواؤكم عن نور الله، ولا أوثانكم عن عبادة الله.. إن الله خلقكم وما تصنعون.. حتى حجارة أوثانكم لا تستطيعون أنتم ولا أصنامكم أن تصنعوها. أنتم قبضة من تراب لا تستطيع أن تكفل لنفسها الحياة،ولا أن تخرج عن قاموس الموت والحياة. أنتم لا تستطعيون التحكم في الفلك الدوار،ولا حركة الليل والنهار،ولا الشمس إذا طلعت أو غربت.. فعودوا إلى ربكم وآمنوا به.. فإن أبيتم.. فماذا بعد الحق إلا الضلال.

قضية فتية الكهف قضية دائمة متجددة.. التوحيد والوثنيات. عبادة الله أوعبادة من دون الله من الأهواء والشهوات المناصب والجاه. حب الله أو حب الشخوص والأوضاع الفانية.

فلتكن قصة الفتية قبل المسيحية أو بعدها.. فالذى نقف عنده طويلاً هو هذا المعنى الأصيل الذى قاله الفتية.﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾.

هم والكون في تسبيح دائم وسجود دائم لله.. والمدينة الباغية القريبة هى صوت الكذب.. هى النشاز في هذا الاتساق الكونى والعقائدى.. هى الجحود في هذا الوجود.. ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ ﴾.

وماذا بعد اللجوء إلى الكهف ومعهم الرقيم والمال والكلب الحارس؟ ومن قبل هذا وبعده الإيمان العميق بالله تعالى؟

دون أن يدرى الفتية انتهى من حياتهم دور. استقروا في الكهف.. ولعلهم جاءوا الكهف في ظلمة الليل.. أو في إطلالة الفجر والمدينة في نوم.. وشهدوا الشمس في طلوعها وتحادثوا في أمرهم، ودعوا ربهم.. وشهدوا الشمس في غروبها.. وغلبهم النوم فناموا ، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، (وهو مدخل الكهف).

وتعاقب الليل والنهار لا خروج من الكهف ولا دخول. لا طعام ولا شراب.

والآية الكريمة تراوحنا بين الإطلاع عليهم، والخوف من رؤيتهم.

ومع هذا تصف مشهدهم.. وتأمل تصارع الأحاسيس في نفسك وأنت تقرأ الآية الكريمة:

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ وكأننا الآن دخلنا الكهف وننظر إليهم. أبصارنا لا تصدقنا، أبصارنا تقول إنهم أيقاظ. وهم في حقيقة أمرهم رقود. ثم تنتقل بنا الآية مرحلة أخرى ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ فهم أحياء لا أموات. وما الراقد اليقظ؟ لماذا لا يجلس ويتحرك؟.

لو جئنا مرة لوجدناهم ذات اليمين. ولو جئنا مرة أخرى لوجدناهم ذات الشمال. ولكن كيف نأتي والله يقول: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾.. كيف أعرف اليقظة من الرقاد، ولو اطلعت ـ مجرد اطلعت ـ لملأ الرعب قلبي. وهل يستطيع المرعوب أن يتحقق من يقظة أو منام أو رقاد؟ هذا وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد. والكلب مثله مثلهم تحسبه يقظًا وهو راقد. راقد باسط ذراعيه بالوصيد. كيف؟ هذه إرادة الله.. وتشرق الشمس وتغرب. تزاور عن كهفهم ذات اليمين صباحًا، وتقرضهم ذات الشمال عند الغروب.. وتمر السنون كأنهم أصبحوا جزءًا من حركة الكون. كالشمس شروقًا وغروبًا، كالقمر. كالسماء والأرض.. أما المدينة فيصدق عليها قانون الموت والحياة الذى أوقفه في الكهف قانون آخر.. والقانونان صنع الله الذي أتقن كل شيء الكهف محمي برحمة الله حتى من النظرة المتطلعة. وقضت حكمة الله أن يقلب أجسادهم وأن يحفظ أجهزتهم دون طعام ولا شراب.. وهل تأكل الشمس أو يأكل القمر.. مع كل الحركة الدائبة المبذولة؟ وهل تأكل الذرات وهى في طواف دائم لا يختلف عن طواف الأرض والقمر والشمس.. انتقل أهل الكهف من قانون إلى قانون، حينا من الدهر.. وبقى قانون الحياة والموت مطبقا على المدينة.. أين الملك الباغى؟ أين من كان يحمل اسم دقيانوس أو دقانوس أو تراجات؟ طواهم الموت. والحاشية وأهل الظلم. أين هم؟ طواهم الموت.. حتى المشيعين. التراب الحي تحول إلى تراب صامت. وميت الغد شيع ميت اليوم.. كما شيع اليوم ميت الأمس.

وتتابعت الأجيال. صغار يولدون مع الفرحة. وشيوخ يودعهم الأهل والصحب مع الدمعة.. وبدأت النفوس شيئا فشئيًا تثوب إلى رشدها. ما وراء الأوثان وعبادتها؟ لماذا لا نعود إلى الله تعالى عابدين؟ وإلى ساحته تائبين؟ وشيئًا فشيئًا بدأت أنوار الحق تدخل القلوب. من قديم خرج من مدينتنا شباب مؤمن هربًا من البطش،وآثروا الهجرة مع قسوة الحياة،على الإقامة مع الضيم والوثنية.. أين هم؟ لا ندري طواهم التاريخ ولا ندري من أمرهم شيئًا.

أقبلت المدينة على الإيمان بالله. دخل الإيمان قصر الحاكم،كما دخل بيوت الأفراد. عاشوا به في الدور والحقول وأصبح نشيدًا على كل لسان وانتصر الإيمان وانطوى الكفران.

أما فتية الكهف ففى تناسق مع الكون. لهم قانونهم الخاص إلى حين تطلع عليهم الشمس وتغرب. وكلبهم باسط ذراعية بالوصيد، تقلبهم رحمة الله ذات اليمين وذات الشمال.

وأصبح حساب السنين بالمئات بعد العشرات.. ثلاثمائة سنين شمسية وازدادوا تسعا في الحساب القمرى..

وجاء اليوم الموعود: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ ونبدأ بمعاني المفردات:

- الورق: الفضة. والمقصود هنا ما معهم من نقود. والنقود عليها عادة اسم الملك الذى ضربت في عهده. وقد يكون عليها عام الضرب. ورمز الملك أو أسرته. أزكى طعاما: أطيب وأنسب.
- " يرجموكم " يقتلوكم. والرجم أقسى أنواع القتل هو القتل التدريجى القاسى.

- يعيدوكم في ملتهم: يكرهوكم على عبادة آلهتهم. وحتى إذا كتم الشباب إيمانهم فيكفي ما يلقونه من عنت وحزن عندما يضطرهم القوم إلى عبادة غير الله.

١٦ – حوار بين الفتية

في الحوار الذى دار بين الفتية حين بعثهم الله. تحس الإخاء والمودة، وسرعة الوصول إلى الهدف انتقالا إلى أمر آخر هم في حاجة إليه ويحبون أن يتم بأسلوب اتفقوا عليه.

الحوار شريحتان:

- الأولى: تتعلق بالمدة التى لبثوها في الكهف.
- الثانية: بإحضار الطعام من المدينة.

وبدءوا بالأولى، فهي أول ما يشغل البال، واضح من الآية أن الله أزال عن قسماتهم ما يبعث على الرعب وهو الذى ذكرته الآية السابقة: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ ولم يكن ـ والله أعلم ـ في منظرهم ما يشي بالزمن الطويل الذى قضوه.. ولو كان، لما كان لنصحهم معنى، حين قالوا لصاحبهم وقد كلفوه بإحضار الطعام: وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا وكيف يتأتى ذلك إذا كان سمته دليلاً على غربة الزمان أو المكان؟.

تحاوروا في أمر الزمان

﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ لم يجدوا بين أيديهم ولا حولهم دليلا على المدة.. وبهذا ينتفى قول الذين قالوا إن الكلب قد أصبح رمة ولم تبق منه إلا العظام، وقول الذين قالوا إن وجوههم تغيرت أو ثيابهم تأثرت.. حتى الشعر لو طال كثيرا لاستطاعوا به حساب بعض الزمن.

ولكن الحوار بينهم كان بين "يوما" أو "بعض يوم" ولا دليل على هذا أو ذاك. فالتقوا جميعًا على إسناد الأمر إلى الله تعالى: قالوا ربكم أعلم بما لبثتم. لا داعى لأن يتمسك أحدنا بقول ليس له عليه دليل، إلا ما كان من حركة الشمس، لا تعدو أن تكون يوما أو بعض يوم.

ولننتقل الآن إلى أمر آخر..

صورة هذا الحوار الموجز ترينا أسلوبًا في التعامل والحرص على الوقت لإنفاقه فيما يجدى، وحسن تبادل الآراء ثم الالتقاء على كلمة سواء.

وجاء أمر الطعام، وكان التوجيه واضحًا لمن يذهب، مع إعطائه فرصة للتصرف.فما اتفقوا عليه كان يجمع الخط الرئيسى والمرونة معًا.

١- ما عدد الذاهبين؟ - يكفى واحد. "فابعثوا أحدكم".
٢- والثمن؟ - فليأخذ الورق؟. بورقكم هذه، هذه أموالكم من حلال كسبتموها، وفى حلال تنفقونها.
٣- أين يذهب؟ إلى المدينة. هو به عليم.
٤- فلينظر أيها أزكى طعامًا.. وفى النظر دراسة واختيار، والأزكى تدل على زكى وأزكى.. فهو يطلب الأفضل، وهو لا يذهب لإحضار كماليات.. وإنما "طعاما".
٥- وهو يختار القدر المناسب: فليأتكم برزق منه. رزق مناسب للمال الذى معه، ولقدرته هو على الحمل، فلن يستعين بآخر لئلا يستدل على مكان الكهف.
٦- والاختيار حوار، يتلطف في قوله وحركته.. كأى مشتر.. بل كالشاري الكيس الفطن.
٧- ثم هو بعد كل هذا يحرص على ألا يلحظ أي أحد منه غربة قول أو فعل.. لماذا؟ ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾.

إن يظهروا عليكم، وفيها معنى العلو والسيطرة، من الشاب قد يستدلون على الفتية. وسيُعادون إلى المدينة، وليس أمامهم إلا القتل رجمًا، أو ترك الدين إكراهًا.. وليس فيهما أو أحدهما أي فلاح.

هكذا خرج الشاب مزودًا بهذه التوجيهات،تاركًا الكهف وراءه موليًا وجهه شطر المدينة.. المدينة التى خرجوا منها بإيمانهم.. ترى ماذا ينتظره فيها.

إن القرآن يمر مرًا سريعًا على مشهد دخول المدينة، يمر عليه دون أن يذكره لا يذكر حوارًا دار بين الشباب وأهل المدينة ولا يذكر موقف الشاب وقد

انكشف أمره. فإذا هو أمامهم بين الكذب والجنون وشعاع عميق من التاريخ.. شعاع ضئيل يمتد قرونًا.. ولكن بالمنطق الإنسانى اليومى – أيعقل هذا؟ مرور سريع يطويه القرآن طيًا ،لنعود إلى الكهف، الشاب أهل المدينة، الحاكم، هل كان معهم؟ علم ذلك عند الله. وليس أمامنا من الحق إلا قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١ ﴾

هذه هى العبرة الكبرى في القصة كلها ﴿ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ ﴾

أكانت قصة الفتية مما تناقلته الأجيال في المدينة. هذا الشاب المؤمن الغائب،الذى لم يعثروا عليه في بلد آخر، حيا ولا ميتا ؟ "أعثرنا عليهم". أعثرنا أهل المدينة عليهم. رسم قدرُ الله الأسلوب الذى يؤدي إلى العثور عليهم. ومعهم الدليل الذى لا ينقض على العهد الذى عاشوا فيه. ومن ورائه الدليل على أن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الموت والحياة، والبعث والنشور.

وأن الحياة بعد الموت هى وعد حق. وحساب الله وعد حق والبعث والحساب أساسان وفى الفكر الدينى على امتداده. جاء بهما كل نبي ورسول.

ولقد وضح الله تعالى أركان العقيدة الدينية في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ﴾ (البقرة: ٦٢)

هذه الأركان الثلاثة هى: الإيمان بالله، الجزاء وهو البعث والحساب، العمل الصالح تنفيذًا للإيمان وهو مادة الحساب يوم القيامة.

بغير هذا يكون أمر الناس فرطا، وتصبح الدنيا غابة الحق فيها للقوة، والغلبة للعنف والبطش دون وازع من دين أو خوف من الله، أو انتظار لحساب:

﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٤٧)

هذه المحاور الثلاثة هى التى تدور حولها الحياة الإنسانية السليمة..

ويرد إلى ذهنى موقف المصطفى عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة.. بعد أيام غار ثور وسلوك طريق الساحل ثم الجبال إلى المدينة. وقد لقى الأنصار في ديارهم،والتقى من حوله المهاجرون والأنصار في إخاء عزيز.. ماذا قال لهم جميعا في أول خطبة بالمدينة؟.

لك أن تقارن بين هذه الخطبة التى سنتلوها بعد قليل،وبين قول الله تعالى بعد أن بعث أهل الكهف ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ ﴾ هذه بعد الغار وهذه بعد بعث أهل الكهف.. قال المصطفى عليه الصلاة والسلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله[1] :

أما بعد أيها الناس. فقدموا لأنفسكم. تَعلَمُنَّ والله ليصعقنَّ أحدكم (والصعق أن يغشى الإنسان من صوت شديد لسمعه، وربما مات منه ثم استعمل في الموت كثيرا)،ثم ليدعنَّ غنمه ليس لها راع. ثم ليقولنَّ له ربه، وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالا وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فينظر يمينًا وشمالاً فلا يرى شيئًا. ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فكان مما قال:
" إن أحسن الحديث كتاب الله تعالى. قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر.. أحبوا من أحب الله. اعبدوا الله لاتشركوا به شيئا. واتقوه حق تقاته أحبوا الله من كل قلوبكم. وأصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابوا بروح الله بينكم. إن الله يغضب أن ينكث عهده. والسلام عليكم رحمة الله بركاته[2].

(١) حياة الصحابة للكاند هلوى ٤: ٢٢٦ – ٢٢٧ عن البيهقي عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.
(٢) نفس المرجع السابق وانظر البداية (٣: ٢١٤).

وتجمع الخطبتان أركان الإسلام: الإيمان بالله والجزاء الأخروي والعمل الصالح في هذه الدنيا، وتقيم الحياة على الإخاء والوفاء واتباع الكتاب المبين والهدى النبوى. من تمسك بها نجا وهُدي إلى صراط مستقيم.

١٧ – لنتخذن عليهم مسجدا

نتابع في هذا الحديث تفسير قول الله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١ ﴾

وفى هذه المتابعة أربع مسائل:

المسألة الأولى: ﴿ أَعۡثَرۡنَا ﴾ فإن الله جلت قدرته حدد الأسلوب الذى عثر أهل المدينة على فتية الكهف.. فالله سبحانه – أعثر أهل المدينة على الفتية، ولم يعثر أهل المدينة عليهم بجهدهم الذاتى..يد القدر كانت تحرك الموقف إلى غاية محددة: ﴿ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ ﴾. ومما يسترعى النظر في الأماكن الثلاثة المقترحة مع ترجيح كهف الرجيب. أنها جميعا جبلية وغير بعيدة من المدن، وفى مناطق تكثر فيها الكهوف والغيران. ولمزيد من التحديد نذكر أن أفسوس تقع في بحر اليونان (ايجه) جنوب ازمير بميل قليل إلى الشرق وأن طرسوس تقع بعيده قليلا عن البحر غربى (لاشمال) خليج الاسكندرونة أما كهف الرجيب فقد فصلنا فيه القول، وذكرنا مراجع البحث فيه

المسألة الثانية: ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡ ﴾ ونقف عند كلمة "يتنازعون" لماذا جاء هذا الفعل بالذات؟ وبينهم. بين من؟ وأمرهم ما الأمر؟.

نقارن بين كلمتين: عند حديث القرآن عن الفتية عندما بعثهم الله جاء قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡ ﴾ وهنا عن أهل المدينة ﴿ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡ ﴾.. وفرق كبير بين التساؤل والتنازع. التساؤل بين إخوة عقيدة. بين

أصدقاء. هو حوار ودود ،انتهى بقولهم. قالوا ربكم أعلم بما لبثتم.. قول هو الإجماع. لم ينقسموا فريقين. ولا تعصب أحد لرأيه، وردوا الأمر إلى الله فيما قضوا من أمد ،ثم انتقلوا إلى موضوع الطعام. أما أهل المدينة فاستخدم القرآن في حوارهم لفظ "إذ يتنازعون" من هم؟ ما عددهم؟ هل كان فيهم الحاكم أو علية القوم؟ إن الله أبهم هذا كله، وألقى القرآن الضوء على أسلوب الحوار وأنه التنازع.. وقد يحمل التنازع معنى تبادل الآراء. والكلمة "تنازع" تحمل معنى التبادل. مجرد التبادل. كما في قول الله تعالى. في وصف أهل الجنة ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

وفى تنازع أهل المدينة تعددت الآراء. ولم يلتقوا على رأى جامع.

كان هناك رأيان: ﴿ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾. كلمة "غلبوا" تدل على انتصار رأي على رأى بقوة: أى قوة.. رأى أو سلطان ٠ ولكن كان لهذا الفريق أن يغلب وأن يفرض رأيه. وبهذا تبدو جوانب من أعماق الآية الكريمة في استخدام لفظ دون لفظ. وفى تصوير الحوار وهو يدور بين فتية مؤمنة تجمعهم عقيدة،وبين أهل مدينة يغلب فيها الفريق الأقوى.

ولا شك في أننا نود من أبنائنا أن يتأسوا بالحوار الذى دار في الكهف: في تقسيم مراحله أولاً، ثم الانتقال من موضوع إلى موضوع. ثم الانتهاء إلى رأي جامع: كان في المرحلة الأولى تفويض الأمر إلى الله فيما لا يستطيعون له إثباتًا. وكان تخطيطًا دقيقًا واعيًا لمسار أحدهم وهو يحمل مسئولية إحضار الطعام وتأمين وجودهم في الكهف ولا يشعرن بكم أحدًا مع تقدير الأخطاء المحدقة بهم. وتصرفهم أمامها بكل بصيرة.

ولعل من حكمة الله أن جاءت معالم هذا الحوار الذى دار في الكهف واضحة ومحددة في الآية الكريمة. بينما جاء تنازع أهل المدينة مجملا. كذلك لم توضح الآية الكريمة المقصود بكلمة "أمرهم" في قوله تعالى. إذ يتنازعون بينهم أمرهم. أى أمر هذا؟ لقد بلغ الكتاب أجله وجاءت آية البعث والنشور أمام أهل

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن الجوزى ٨: ٥٢ ط ٠ المكتب الإسلامى دمشق بيروت.

المدينة. وأدى الشباب مهمته لم يختاروها لأنفسهم،وإنما اختارهم الله لها،وهو أعلم بهم.

المسألة الثالثة: قول الله تعالى: ﴿ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنَا ﴾

ومرة أخرى تحس كأننا ننظر إلى فتية الكهف وبيننا وبينهم ستر من غيب الله.. ماذا حدث بعد أن أدوا مهمتهم وعاد الشاب ومعه أهل المدينة إلى الكهف، ونظر أهل المدينة إلى الفتية أيقاظًا ثم ألقى الله عليهم النوم، لعل هذه المرة الموت. من يدري؟ لقد ناموا قرونًا وهم في جلال العناية الإلهية، قرونًا كانوا فيها أقوى من عوامل الوجود حولهم، أو على الأقل معها في القدرة على التحمل وحتى إذا تحسس أهل المدينة أنفاسهم فوجدوها خمدت.

هل هو الموت أم النوم الطويل؟ أنهم آية من آيات الله، لا يحبون أن تتحول إلى قصة ومشهد يأتي الناس يوما بعد يوم ليشهدوه فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم. أعيدوهم إلى عزلتهم، والله الذى حفظهم قرونا هو أولى بهم ولا تجعلوا هذه الآية الكريمة متحفا ينظر إليه الناظرون، وقد تسوّل لهم أنفسهم أن يمسوا هذه الأجساد وأن يختبروا هذه الثياب. وأن يعبثوا بحرمة المكان. ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم.

المسألة الرابعة: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدًا ﴾ ولعل المقصود بقول الله "عليهم" أي في هذا الموضع الذى ظهرت فيه آية الله، أمّا الكهف فهو على الفتية مغلق، لا يعدو أن يكون قبرًا، أو جزءًا من الجبل بعد أن سد القوم فتحته. أمّا المكان وهو لا يختلف عن أي مكان آخر. فليتحول إلى مكان يُعبد فيه الله تعالى. ويذكر الناس فيه البعث والنشور، وينطلقون منه إلى صالح العمل في الدنيا.

ونستطيع أن نرجع إلى تفسير الإمام الطبري لنقرأ ما جاء عن هذه القصة من تفصيل،مرجعه فيه ابن إسحق ووهب بن منبه ومجاهد.

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور[1]

(١) التحرير والتنوير ١٥-٢٩.

الذين غلبوا على أمرهم ولاة الأمر بالمدينة وإنما رأوا أن يكون البناء مسجدًا ليكون إكرامًا لهم ويدوم تعهد الناس كهفهم. وقد كان اتخاذ المساجد على قبور الصالحين من سنة النصارى. ونهى عنه النبي ﷺ كما في الحديث يوم وفاته ﷺ قالت عائشة رضى الله عنها.. "ولولا ذلك لأبرز قبره" أى لأبرز في المسجد النبوى ولم تجعل وراء جدار الحجرة.

واتخاذ المساجد على القبور، والصلاة فيها منْهي عنه، لأن ذلك ذريعة إلى عبادة صاحب القبر أو شبيه بفعل من يعبدون صالحى ملتهم.. وإنما كانت الذريعة مخصوصة بالأموات لأن ما يعرض لأصحابهم من الأسف على فقدانهم يبعثهم على الإفراط فيما يحسبون أنه إكرام لهم بعد وفاتهم، ثم يتناسى الأمر، ويظن الناس أن ذلك لخاصيته في الميت. وكان بناء المساجد على القبور سنة لأهل النصرانية فإن كان شرعًا لهم، فقد نسخه الإسلام. وإن كان بدعة منهم في دينهم فأجدر (أى فأجدر أن يُترك) انتهى قول الطاهر.

ونلحظ في الآية الكريمة:﴿ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾. نلحظ فيها فضلاً بين الأمرين، يمكن أن يكون من الناحية العملية تتابعًا. بعبارة أخرى: أن يبنى القوم البنيان على الشباب، ويغلقوا عليهم الكهف. وبهذا تنتهي قصة أجسادهم ولا يبقى في الذكرى والحياة إلا عبرة البعث والنشور، ثم في المكان الذى أراد الله أن يكون موطن هذه الآية، يتخذون مسجدًا يذكر الناس بالله تعالى، وبالعبرة الحقيقية في القصة. إن نهاية القصة إيمان وانتصار إيمان، فلا يعقل أن انتهاء فيه شبهة من شرك أو وثنية أغلقوا على الفتية كهفهم وابنوا عليهم بنيانا. والذين يزورون هذه الأرض من بعد، لن يجدوا إلا المسجد والعبادة والتوجه إلى الله. هذا ـ والله أعلم ـ هو الأقرب إلى العقل عند النظر في نهاية القصة، والذى ينبغي أن تتجه إليه الأذهان: الإيمان بالله طاعة وسجودًا. العمل الصالح في الحياة. الإيمان بالبعث والنشور. أن يكون هذا المكان أرض عبادة وتوجه الى الله.. لايعقل أن تنتهي القصة بمزار يقدس فيه الخلف أجساد هؤلاء الشباب وتوابيتهم.. ولكن المعقول أن يكتب للعبرة البقاء، وإليها ينبغي أن تتجه الأذهان.. ولكن قومًا من بعدهم شغلتهم من القصة التفاصيل دون الجوهر فماذا كان من أمرهم؟

١٨ – منهجان في تناول القصة

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾

إن المستوى الأساسي في قصة الكهف هو مستوى العقيدة: البعث والنشور ولكن قومًا تركوا هذا المستوى وأخذوا يبحثون في تفاصيل ليست جوهرية في القصة.

ما الفرق بين أن يكون الفتية ثلاثة رابعهم كلبهم. أو خمسة سادسهم كلبهم أو سبعة وثامنهم كلبهم.

إن عبرة القصة لاتتحدد بعدد الفتية. فقد تحدث آية الإحياء والبعث مع إنسان وحده كما في قصة الرجل الذى أحياه سيدنا عيسى عليه السلام بأمر الله. وقد تحدث مع إنسان ودابته كما في قصة الرجل: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ وكان معه حماره، وحدث له ما حدث للرجل وأكثر.

وقد تكون مع عدد أكثر، كما في قصة الكهف.. وقد تكون مع أكثر والله تعالى يعلمنا أن كلمة "كن" يستوى فيها الواحد والجميع، يقول تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (لقمان:٢٨) أمر تستوي فيه الخلائق مولدًا وبعثًا ونشورًا.. وبين ذلك آيات لها قانونها من نوم طويل أو بعث بعد موت: آية للناس.

هذه هى القضية التى يود القرآن أن يعمقها في نفوسنا جميعًا، لتكون مصدرًا لعمل الخير وخشية الله وحب عباده..

ولكن الناس في كل زمان ومكان نجد من بينهم من يعتني بأمور فرعية ويدع الأصول، أو يهبط بالأصول ويعقدها بتفاصيل كان في غناء عنها.

ولنذكر لذلك مثالاً قرآنيًا جاء في سورة البقرة عن بنى إسرائيل: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾

هذا أمر إلهى يكتفى فيه القوم بالتنفيذ فيذبحوا بقرة – أى بقرة. فهى هنا نكرة وغير موصوفة بأى وصف يحددها. ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ وهذا موقف سخرية؟ إنه أمر إلهى يقوله نبي مرسل في مناسبة محددة. وعجب موسى ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ هذا ليس موقف استهزاء مني بكم، ولا شك منكم في أمر من الله أخبركم به. وكان من الممكن بعد هذا أن يقوموا بالتنفيذ. ولكنهم هبطوا من المستوى الثانى إلى مستوى ثالث: الثالث بعد الشك وبعد تأكيد موسى لأمر الله. وعادوا ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ ضيقوا على أنفسهم فضيق الله عليهم ليريهم الثمار المرة لهذا الأسلوب ٠ قال: إنه يقول إنها بقرة لافارض ولابكر عوان بين ذلك بقرة متوسطة السن. ثم أمرهم أمرًا صريحًا ﴿ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ وهبطوا إلى مستوى أدنى في تضييق على أنفسهم ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ ونستطيع أن نتابع القصة في سورة البقرة.. وبعد كل سؤال تضييق يصل بنا إلى قول الله تعالى ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾

لماذا كل هذه الأسئلة وكان من الممكن الاكتفاء بأى بقرة كما جاء في الأمر الأول، ثم الانصراف بعد هذا إلى ما هو أجدى عليهم في حياتهم؟ ولك أن ترجع أيضًا إلى مشكلات ذبائحهم وعباداتهم وما فيها من تفاصيل.

فهل كانوا يريدون أن تتحول الدعوة الإسلامية إلى سؤال عن فتية الكهف ثم تهبط إلى أسئلة تفصيلية عن أعدادهم.. ثم تنتقل إلى أسمائهم وأعمارهم، وأهلهم؟ أبهذا يتأكد الإسلام وينتشر؟.

من أجل ذلك ذكر الله تعالى هذه الأقوال عن القوم: ثلاثة وخمسة وسبعة، وكلها أعداد فردية.. ولكل رقم من يقول به ويدافع عنه. ومع ترجيح القرآن أنهم سبعة وثامنهم كلبهم بدليل قول الله تعالى بعد هذا. ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ

إِلَّا قَلِيلٌ﴾،ومع اعتبار الثلاثة والخمسة ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ إلا أن القرآن يعقب على هذا بكل القطع والوضوح. ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾

والتمارى مقصود منه إيقاع الشك من الجانبين، وكثرة الجدال فيما لا يجدى، والمقصود من المراء الظاهر: هو الذى لا سبيل إلى إنكاره ولا يطول الخوض فيه من قوله ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ وقوله ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ فهذا مما لا سبيل إلى إنكاره،وما وراءه محتاج إلى الحجة،فلا ينبغى الاشتغال به لقلة جدواه".

وغنى عن القول أن البعد عن هذا النوع من الجدل الذى لا يغنى والمراء الذى لا يأتى بخير، لا ينفى العناية بالحوار العلمى والجدل بالتى هى أحسن ابتغاء إظهار وجه الحق،وهو جزء من الدعوة إلى الله في قوله تعالى:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (النحل: ١٢٥)

فهذه ثلاثة: الحكمة، الموعظة الحسنة، الجدال بالتى هى أحسن ولعلمائنا فيها أقوال: الحكمة مع العلماء ومن في مستواهم. الموعظة الحسنة مع العامة الجدال بالتي هى أحسن فيمن لايؤمن بقولك مثل أهل الكتاب حين يدور الحوار بينكم.. وهذا كله في مجال الدعوة إلى الله))

وهذا أيضًا غير النقاش العلمى الموضوعى بقواعده المعروفه القائمة على الملاحظة والتجربة واختبار كل منهما ومحاولات الوصول من الفروع إلى الأصول ومن المقدمات إلى النتائج ومن تعداد الحالات إلى النظريات ثم القوانين.

بل إنك تدخر جهدك من التمارى لتوجهه إلى الحوار الخصب ولك أن تسمى هذا "اقتصاد الجهد" أو "اقتصاد الحوار" لتصل إلى أعلى مردود في أقرب وقت وبأيسر طريق.

ويرتبط بالنهى عن التمارى إلا المراء الظاهر الواضح، قول الله تعالى فى آخر الآية: ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ أى يامحمد لا تستفت في أمر الكهف من قريش أو أهل الكتاب أحدًا.. واقطع بكل الحسم طريق التمارى، والدخول في مسالك التفاصيل والاختلاف فيها.

ولا تعدو قصة "عدد" أهل الكهف أن تكون "صورة" من صور الفكر اليهودى، ينهانا الإسلام عن اتباعها.

ومع أن الآية فيها ترجيح "السبعة" إلا أنها تنهي المصطفى عليه الصلاة والسلام عن استفتاء قريش وأهل الكتاب عن أى شىء يتعلق بفتية الكهف. فإن شاء الله أعلمك. وقد أعلمك. ولكن – حتى مع هذا العلم – لاتمار أهل الكتاب ولا قريش إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا.

هذا الاقتصاد في الجهد، والتوجيه إلى الأحسن، أمر تؤمن به العقول الكبيرة التى تدرك قيمة الحياة وقيمة الإبداع فيها بما يعود على الإنسانية بأكبر خير.

وعندما كنت أكتب هذه السطور عن الجهد، واحترام الوقت والاهتمام بما هو أجدى.. جاءت إلى ذهنى صورة حديثة قرأتها في كتاب عن حياة مارى كورى مكتشفة الراديوم. والتى حصلت على جائزة نوبل في الفيزياء. عن هذا الاكتشاف عام ١٩٠٣. عاشت حياتها مع زوجها راهبة علم،كل جهدها مسخر لبحوثها. وعندما تأكد كشفها واعترفت به الدوائر العلمية، طبعت بحوثها من صور وأرسلتها إلى جميع المراكز البحثية الرئيسية، وجعلت نتائجه ملكا للإنسانية دون أن تحاول الحصول على أي مكسب مادى منه. ولقد أثر إشعاع الراديوم على جسمها وكانت تحس أنها تعيش معادلة صعبة بين متابعة الجهد، والموت الزاحف البطىء مع الإشعاع الذى تسرب اليها.. وزاد من ألمها أن أصبحت محط الأنظار، أما العلماء فيعنون بالعلم.. وأما الزائرون السطحيون، وكتاب مقالات الطرائف.. فكانوا يسألونها عن أشياء لا علاقة لها بالعلم: أى الألوان تفضل؟ أى الأطعمة؟ أى الثياب؟.. وضاقت وهى الهادئة العاقلة فعبرت عن ألمها بأن قالت لأحد هؤلاء السائلين: إنكم تعنون بالأشخاص والأشياء أكثر من الأفكار والبحوث.. كان نظرها إلى المستقبل والبحث، ونظرهم إلى ثوب وطعام ولون.. نفس المشكلة التى يعاني منها مخطط ينظر إلى الأمام وباحث طموح وعالم جاد..

من عقليات صغيرة تبحث عن التفاصيل والأصداف تتلهى بها عن الكليات والجواهر..

ألا تحس في هذا خلود الأصول القرآنية في التفكير وامتدادها عبر الزمان والمكان، نهتدى بها وحيًا يلتقى معه الفكر السليم والنظر الطموح.

١٩ ـ وقل عسى أن يهدينى ربي لأقرب من هذا رشدا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾

والآيتان أقسام ثلاثة:

- الأولى: ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاءالله
- الثانى: واذكر ربك إذا نسيت.
- الثالث: وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا.

والمعانى اللغوية واضحة، فلننتقل منها إلى التفسير بادئين بالقسم الأول وفيه مسائل:

أولاها: لماذا جاءت هذه الآية في هذا الموضع؟ هي متعلقة أساسا بقصة الكهف، ونذكر هنا ما رواه ابن إسحق أن المشركين عندما سألوا رسول الله ﷺ عن أهل الكهف والرجل الطوّاف والروح، وعدهم بالجواب غدا، ولم يقل "إن شاء الله" وتأخر الجواب أيامًا. وكان تأخر الجواب عتابًا من الله لرسوله. عتابًا ذكره الله بعد أن قص على رسوله ما سأل عنه.

لم يأت العتاب في أول السورة، وإنما جاء في أولها الحمد وبشارة المؤمنين وإنذار الذين قالوا اتخذ الله ولدا. وجاءت المودة ورحمة الله برسوله في قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾

ثم جاء في قوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴾ ثم ذكر ربنا بعد هذا القصة وما فيها من العبر،وأسلوب الحوار مع

قريش وأهل الكتاب.. وبعد هذا كل قال لرسوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾..

وسنرى بعد الآيتين أن الله يذكر جوانب من قصة الكهف، ثم تنقل الآيات بعد هذا إلى توجيه للرسول عليه الصلاة والسلام إلى أن يصبر نفسه مع أصحابه المؤمنين الذين يريدون وجه الله،فهم أولى بالعناية من كفار قريش وأهل الكتاب. الذين لا يبغون إلا تعويق مسيرة الإسلام. وصرف جهد الرسول القائد إلى مسالك جانبية.

العتاب الإلهى إذن لم يأت في مطلع القصة ولا جاء في خاتمتها،وإنما في سياقها،وقرب خواتيمها،وغير بعيد عن الانتقال منها إلى المشكلات التى يقابلها الرسول ﷺ في الحياة الإسلامية اليومية.

وسرى هذا التوجيه الإلهى للمصطفى عليه الصلاة والسلام إلى الأسلوب النبوى في توجيه الصحابة.. من ذلك ما جاء في الصحيح أن حكيم بن حزام قال: سألت رسول الله فأعطانى،ثم سألته فأعطانى،ثم سألته فأعطانى،ثم قال: يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة. فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه،وكان كالذى يأكل ولا يشبع. واليد العليا خير من اليد السفلى. قال حكيم: يا رسول الله ! والذى بعثك بالحق لا أرزأ (أى أسأل) أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا "

فعلم حكيم أن قول رسول الله ﷺ له ليس القصد منه منعه من سُؤله، وإنما قصد منه تخليقه بخلق جميل،فلذلك أقسم حكيم: أن لا يأخذ من أحد غير رسول الله شيئا،ولم يقل لا أسألك بعد هذه المرة شيئا[1] .

والمسألة الثانية: في معاني قول الله تعالى: ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله. ذكروا فيها معنيين.

الأول: أي لا تقولن إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله أن تقوله ومشيئة الله تعلم من إذنه بذلك. بعبارة أخرى: لا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يأذن الله لك بأن تقوله.

(١) التحرير والتنوير: ١٥: ٢٩٦ – ٢٩٧

الثانى: لا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله أن يحدث.

ففي التفسير الأول تكون المشيئة متلبسة بالإذن بالقول، وفى الثانى متلبسة بحدوث الفعل.. وفى الأمرين مشيئة الله هى الغالبة.

والقول بدء والحدوث غاية مرجوة، والتفسير الثانى أقرب وإليه ذهب الطبرى.

وبجمع المسألتين الأولى والثانية يبدو تكريم الله لرسوله ﷺ إجابة عن سؤاله، وتعليمه علمًا عظيمًا من أدب النبوة، وأن العلم جاء بعد الإجابة، استئناسًا لنفسه دون أن يبادئه بالنهى أو التوجيه.

ننتقل بعد هذا إلى القسم الثانى وهو قول الله تعالى:

﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾.

والقول هنا مرتبط بما قبله: أى يا محمد: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ فلا تعد بوعد في أمر الوحى، فإن نسيت ووعدت، فتدارك بهذا وقل: إن شاء الله. فالذكر المطلوب هنا هو التدارك، والامتثال. يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه: (أفضلُ من ذكرِ الله باللسان، ذكرُ اللهِ عند "أمرِه ونهيه").

ولعلمائنا دراسات متصلة في ذكر الاستثناء وهو القول "إن شاء الله " أيصح في نفس القول والوعد والعقد، أم تصح وبينهما فاصل زمنى؟ وإن كان فاصل. فما طوله؟ يوم. أسبوع. شهر. عام. أكثر؟

ونستطيع – كنموذج – أن نرجع إلى الطبرى في شرحه.

وننقل عن الفخر الرازى قوله:

أما الفقهاء فقالوا لو جوزنا ذلك (أى الفصل بين القول وذكر المشيئة) لزم أن لا يستقر شىء من العقود والأيمان. ويحكى أنه بلغ المنصور (الخليفة العباسى) أن أبا حنيفة رحمه الله خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل (وابن عباس يذهب إلى جوازه) فاستحضره لينكر عليه. فقال أبو حنيفة: هذا يرجع عليك فإنك تأخذ البيعة بالأيمان (أى تأخذ بيعة الخلافة بأن يقسم الناس عليها أمامك)

أفترض أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك؟.(أي أن يقولوا بعد خروجهم إن شاء الله ويتحللوا من البيعة) فاستحسن المنصور كلامه ورضى به.

والذى نود أن نخلص إليه، ليس الدخول في تفاصيل الأحكام الفقهية في هذا الأمر، وهى مبسوطة في كتب الفقه والأحكام، ولكن معرفة العبد حدود قدرته: فما كان من أمر الوحى عند المصطفى عليه الصلاة والسلام، فلا يعد فيه بما هو من إرادة الله في الإنزال والهداية. ورد المشيئة إلى الله في العقود ليس تحللا منها وإنما ذكرًا لقدرة الله وإرادته الغالية. والله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ (المائدة:١) وقال ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (النحل:٩١) فمن أتى بعقد أو عهد فعليه الوفاء به. ولفظ الاستثناء وحده وهو القول، إن شاء الله لا يقيد شيئا، فهو يجرى كما يقول الرازى مجرى نصف اللقظة الواحدة. وجملة الكلام: أى الوعد والمشيئة كالكلمة (أى الجملة) الواحدة المفيدة.

القسم الثالث هو قول الله تعالى: ﴿ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾

وفى الآية إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف. ومعناه: لعل الله يؤتينى من البينات والدلائل على صحة أنى نبيٌ من عند الله صادق القول في دعوى النبوة، ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف. وقد فعل الله ذلك وآتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ثم بالتشريعات الباقية التى ينتظم بها أمر الحياة أخلاقيًا واجتماعيًا واقتصاديًا و سياسيًا آتاه من كل ذلك ما هو أعظم من قصة الكهف وأوسع مدى وأبقى أثرًا.

وعند هذه النقطة ينبغى أن نطيل الوقوف..

فإن القرآن الكريم ذاته: وحيًا ونزولاً وحفظًا واتباعًا، هو معجزة الإسلام الكبرى. بل هو معجزة الأديان الكبرى. ذلك لأنه النص الوحيد الكامل الذى يستطيع أهله أن يقولوا بكل الصدق واليقين أنه القرآن الذى أوحاه الله لرسوله ونزل به الروح الأمين على قلبه بلسان عربى مبين.

أهل الأديان يعترفون أن الذى بين أيديهم، كَتَبَه كُتّابُهم مؤَيَدين بروحِ القدس أو كَتَبه أحبارُهم بعد وفاه نبيهم بسنين، أو تكاملت أسفاره بعد قرون.

وهذا القرآن الذى أعجز الإنس والجن. ولا يزال الإعجاز والتحدى قائما، يسر الله حفظه حتى لأبناء المسلمين يتلونه حق تلاوته وتستقيم به ألسنتهم وتلين له القلوب. وهو النور الهادى في الحياة، والنبع المتدفق بالخير والصراط المستقيم. هو الصاحب في السفر والأنيس في الوحدة، والدليل في المسير. هو الظل من شمس الأيام وهو السراج في ليلها وهو الحصن من شرورها وهو السلاح أمام أعداء الحياة.. هذه الآفاق المتسعة التى جاء من أجلها الإسلام وشق طريقه أرادت قريش أن تحصرها مستعينة بأهل الكتاب على سؤال عن فتية غابوا في القرون أو رجل طواف.. وأخبر الله رسوله بذلك.. ثم دعاه إلى متابعة مسيرته كما أرادها الله في طريقها الواسع العالمى وعلمه أن يدعوه قائلا: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾.

٢٠ – ختام قصة الكهف

﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾

وهذه الآيات هى تمام قصة الكهف، وسنرى فيما نستقبل من الآيات الربط بين القصة وواقع الحياة الإسلامية. أما هذه الآيات الخاتمة ففيها مسائل.

الأولى: مُدة اللبث. ذهب بعض المفسرين إلى أن: "لبثوا" حكاية عما يقول أهل الكتاب. وبهذا يكون قوله تعالى: " قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ" تفويضا إلى الله في علم ذلك كقوله: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ وذهب آخرون إلى أن هذا إخبار من الله عن مُدة لبثهم. ولقد جاء في صدر الآية. ويكون قوله تعالى بعدها " قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ " قطعا للمماراة في مدة اللبث المختلف فيها بين أهل الكتاب أى أن الله أعلم منكم بمدة لبثهم وأنتم يا أهل الكتاب قد اختلفتم بينكم في حساب المدة.